الباب الأول

ترجمة موجزة للإمامين –رحمهما الله–، والمساجلات التي دارت بينهما

وظاهرة التأثير والتأثر بينهما.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة موجزة للحافظ ابن حجر العسقلاني.

الفصل الثاني: ترجمة موجزة لبدر الدين العيني.

الفصل الثالث: الجانب العلمي عند الإمامين.

وينقسم إلى مبحثين:

المبحث الأول: المساجلات التي دارت بين الإمامين –رحمهما الله.

المبحث الثاني: ظاهرة التأثير والتأثر بين الإمامين –رحمهما الله.

obeikandl.com

الفصل الأول

ترجمة موجزة للحافظ ابن حجر العسقلاني

اسمه ونسبته: هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد المشهور بابن حجر الكِنَاني العسقلاني الشافعي. كان يلقب بشهاب الدين ويكنى بأبي الفضل وأما شهرته: فهو ابن حجر – بفتح الحاء المهمل والجيم بعدها راء .

وأما نسبته: فقد قال السخاوي: «قرأت بخط صاحب الترجمة –رحمه الله– رأيت بخط والدي أنه كِنَاني الأصل –يعني بكسر الكاف وفتح النون وبعد الألف نون ثانية – وكتب شيخنا مرة الكناني القبيلة، قال: وكان أصلهم من عسقلان وهي مدينة بساحل الشام من فلسطين»[1]. اهـ

مولده: ولد الحافظ ابن حجر في الثاني والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (٧٧٣) على شاطئ النيل بمصر والمنزل الذي ولد فيه بمصر معروف استمر في ملك شيخنا ثم بيع بعده وهو بالقرب من دار النحاس والجامع الجديد وانتقل منها إلى القاهرة قبل القرن حين تزوج بأم أولاده فسكن بقاعة منكوتمر جد أبي أمها المجاور لمدرسته داخل باب القنطرة بالقرب من حارة بهاء الدين واستمر بها حتى مات.

هكذا قال السخاوي في الجواهر[2].

نشأته: نشأ الحافظ ابن حجر يتيما في كنف وصيه أبي بكر نور الدين علي الخروبي كبير التجار بمصر. فقد توفيت والدته في وقت مبكر ثم توفي

---

(1) راجع: الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر للسخاوي ص١/٤٦، ٤٨

(2) المرجع السابق ص ٤٩

والده في رجب سنة سبع وسبعين وسبعمائة (٧٧٧) فدخل الكتاب بعد أن أكمل خمس سنين وأتم حفظ القرآن الكريم وهو ابن تسع سنين. وكانت العادة المتبعة أن من حفظ القرآن الكريم يصلي بالناس التراويح غير أنه لم يتهيأ له ذلك. حتى استصحبه معه وصيه إلى مكة فجاور هناك فتم له صلاة التراويح بالناس في مكة. وهو ابن اثنتي عشرة سنة. وفي نفس السنة سمع صحيح البخاري على مسندِ الحجاز الشيخ عفيف الدين عبد الله النشاوري. وسمع غيره(١).

رحلاته العلمية: رحل الحافظ في طلب العلم وسماع الحديث إلى كثير من البلاد المصرية والشامية والحجازية. فرحل إلى صعيد مصر حيث سافر إلى قوص وغيرها من بلاد الصعيد، ورحل إلى الأسكندرية وبها التقى بجماعة من المحدثين والمسندين، ورحل إلى اليمن وإلى الحجاز وأدى فريضة الحج وجاور بها. واشتغل بالمذاكرة والتلقي عن كبار علماء الحجاز، ورحل إلى بلاد الشام وأخذ عن كبار الشيوخ والمحدثين والمسندين بها، ورحل إلى حلب في صحبة السلطان الأشرف برسباى. ولقد استفاد من هذه الرحلات الكثير والكثير وجمع شتات العلوم(٢).

شيوخه: قال السخاوي في الضوء اللامع: وأخذ عن الشيوخ والأقران فمن دونهم واجتمع له من الشيوخ المشار إليهم والمعوَّل في المشكلات عليهم ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره لأن كل واحد منهم كان متبحرا في علمه ورأسا في فنه الذي اشتهر به لا يلحق فيه.

---

(1) راجع: الضوء اللامع ص ٣٦/٢ – رفع الإصر ص ٨٥/١

(2) راجع: أنباء الغمر ص ٧٨/٢، ١٣٣

فالتَّنوخي[١] في معرفة القراءات وعلو سنده فيها.
والعِرَاقي[٢] في معرفة علوم الحديث ومتعلقاته.
والهَيْثَمي[٣] في حفظ المتون واستحضارها.

---

(1) التنوخي: هو «إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعد بن علوان بن كامل التنوخي البعلي ثم الشامي برهان الدين». كان شيخ الديار المصرية في القرآن والإسناد حتى قيل أن أهل مصر قد نزلوا بموته في الرواية درجة وكان الحافظ العراقي يجله ويعظمه ويمتنع من التحديث بما هو من عواليه ويحيل عليه في ذلك. ولد بدمشق سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩) أو في أوائل عشر (٧١٠) وتوفي في جمادى الأولى سنة ثمانمائة للهجرة (٨٠٠) هـ.
راجع: غاية النهاية في طبقات القراء لابن خطيب الناصرية ص ٢/٧، ٨، شذرات الذهب ص ٦/٣٦٣

(2) العراقي: هو «عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل العراقي، زين الدين». تقدم في الحديث وعلومه ومهر فيه حتى لم ير من هو أتقن فيه منه بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه وربما امتنعوا من التحديث إلا في مجلسه وتتلمذ عليه أغلب أهل عصره.
ولد في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة (٧٢٥) بمنشأة المهرانى بين القاهرة ومصر. وتوفي في السابع من شعبان سنة ست وثمانمائة للهجرة (٨٠٦).
راجع: لحظ الألحاظ ص ٢٢٠ – طبقات الحفاظ ص ٥٣٩

(3) الهيثمي: هو «علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر بن عمر بن صالح الهيثمي نور الدين أبو الحسن». قرأ عليه الحافظ ابن حجر نحو النصف من مجمع الزوائد له ونحو الربع من زوائد مسند أحمد وزوائد مسند جابر ومسند أحمد. وكان ابن حجر قد تتبع أوهامه في كتابه (مجمع الزوائد) فبلغه أن ذلك شق عليه – وكانت بينهما مودة – فتركه رعاية له بل ربما عاتبه في ذلك.
ولد في برجب سنة خمس وثلاثين وسبعمائة للهجرة (٧٣٥) وتوفي في رمضان سنة سبع وثمانمائة (٨٠٧). راجع: الضوء اللامع ص ٥/٢٠٠ – لحظ الألحاظ ص ٢٣٩.

والبُلْقِيني[١] في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع.
وابن المُلقن[٢] في كثرة التصانيف.
والمجد الفَيْرُوزابادى[٣] في حفظه اللغة واطلاعه عليها.

---

(1) البُلقيني: هو «عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن عبد الحق الكناني البلقيني، سراج الدين». شهد له جلة علماء عصره ومن دونهم بالتقدم في الفتيا بل سلموا بأنه أحق الناس بها في زمانه. ولقد شرب ابن حجر رحمه الله ماء زمزم بنية أن ينال مرتبته ولازمه وقرأ عليه الكثير. ولد في الثاني عشر من شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة للهجرة (٧٢٤) ببلقينة من أعمال المحلة الكبرى. وتوفي في حادي عشر من ذي الحجة سنة خمس وثمانمائة (٨٠٥) بالقاهرة.
راجع: المنهل الصافي ص ٤٧٣/٢ – النجوم الزاهرة ص ٢٩/١٣، ٣٠

(2) ابن المُلقن: هو «عمر بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري الأندلسي ثم المصري سراج الدين أبو الحسن – المعروف بابن الملقن». نسبة إلى زوج أمه الشيخ عيسى المغربي ملقن القرآن في جامع طولون. عني بالتحصيل وهو صغير فسمع علي ابن سيد الناس والقطب الحلبي ومغلطاي وغيرهم واعتنى بالتصنيف واشتهر بالكثرة فيه وعظمه كثر من المتقمين كالعلائي وأبي البقاء والسبكي وناب في القضاء واختير للقضاء الأكبر فكانت له فيه محنة. ولد سنة ثالث وعشرين وسبعمائة للهجرة (٧٢٣)، وتوفي في السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة للهجرة (٨٠٤هـ).
راجع: الضوء اللامع ص ١٠٠/٦، ١٠٥ – شذرات الذهب ص ٤٤/٧

(3) الفيروزآبادى: هو «محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي مجد الدين أبو طاهر الفيروزابادى. اشتهر باللغة ومهر فيها وعرف بالقاموس المحيط واستقر في أخريات عمره باليمن متوليا قضاء الأقضية بها وقد بالغ صاحبها في إكرامه وتعظيمه وصاهره على ابنته. ولد بكازرون –مدينة بفارس بين البحر وشيراز– سنة تسع وعشرين وسبعمائة للهجرة (٧٢٩) ونشأ بها، وتوفي باليمن ليلة العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة للهجرة (٨١٧)».
راجع: البدر الطالع ص ٢٨٠/٢ – بدائع الزهور لابن إياس ص ١٧/٢، بغية الوعاة ص ٢٧٣/١

والغِمَارى[١] في معرفة العربية ومتعلقاتها.

وكذا المحب بن هشام[٢] كان حسن التصرف فيها لوفور ذكائه.

والعز بن جماعة[٣] في تفننه في علوم كثيرة بحيث أنه كان يقول أنا أقرأ في خمسة عشر علما لا يعرف علماء عصري أسماءها.

وأذن له جلهم أو جميعهم كالبلقيني والعراقي في الإفتاء والتدريس[٤]. اهـ

---

(1) الغِمَارى: هو «محمد بن محمد بن علي بن عبد الرازق أبو عبد الله الغِمَارى المصري. لازم أبا حيان وأخذ عنه العربية واللغة والقراءات كان أحفظ أهل زمانه لشواهد العربية قوى المشاركة في فنون الأدب مع مشاركته في القراءات والأصول والفروع والتفسير تصدر للاقراء دهرا واستقر في آخر حياته في مشيخة الاقراء بالشيخونية. ولد في ذي القعدة سنة عشرين وسبعمائة (٧٢٠)، وتوفي في رجب سنة اثنين وثمانمائة (٨٠٢)».
راجع: غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ص ٢٤٤/٢ — شذرات الذهب ١٩/٧، ٢٠ — بغية الوعاه للسيوطي ص ٢٣٠/١

(2) المحب بن هشام: هو «محمد بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام محب الدين». أخذ العربية على والده وكان إليه المنتهي في العربية ونحوها وتصدر لاقرائها بجامع الحاكم وغيره. ولد سنة خمسين وسبعمائة أو التي تليها (٧٥٠-٧٥١)، وتوفي في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة للهجرة (٧٩٩).
راجع: حسن المحاضرة ص ٥٣٧/١ — النجوم الزاهرة ص ١٥٧/١٢

(3) العز بن جماعة: «محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة عز الدين». ذكر كل من ترجم له أنه كان آية من آيات الله في معرفة العلوم الأدبية والعقلية بحيث كان لا يقرأ عليه كتاب إلا ويكتب عليه حاشية أو تقريرا أو تعليقا أو نكتا أو اعتراضات. بل لقد زادت مصنافاته على المائتين في أكثر من عشرين فنا. ولد بينبع سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة (٧٤٩)، وتوفي سنة تسعة عشر وثمانمائة (٨١٩هـ). راجع شذرات الذهب ص ١٣٩/٧ — حسن المحاضر ص ٥٤٨/١ — النجوم الزاهرة ص ١٤٣/١٤

(4) الضوء اللامع ص ٣٧/٢، ٣٨

تلاميذه: كثرت تلاميذ الحافظ ابن حجر نظرا لشهرته وطول باعه في كثير من العلوم وبالأخص الحديث وعلومه ونظرا لكثرة رحلاته العلمية والمدارس التي درس فيها.

قال ابن العماد في ترجمته له: وانتفع به الطلبة وحضر دروسه وقرأ عليه غالب علماء مصر ورحل الناس إليه من الأقطار[١]. اهـ

وقال السخاوي -رحمه الله- في الضوء: «واشتهر ذكره وبعد صيته وارتحل الأئمة إليه وتبجَّح الأعيان بالوفود عليه وكثرت طلبته حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب من تلامذته»[٢]. اهـ

ومن أهم تلامذته الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي والحافظ أبو الفضل محمد تقي الدين ابن النجم محمد محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي الشافعي والبرهان البقاعي وشهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري. وغيرهم[٣].

فضله وثناء العلماء عليه: قال ابن العماد: «وكان -رحمه الله- صبيح الوجه للقصر أقرب ذل لحية بيضاء في الهامة نحيف الجسم فصيح اللسان شجي الصوت جيد الذكاء عظيم الحذق راوية للشعر وأيام من تقدمه ومن عاصره. مع كثرة الصوم ولزوم العبادة واقتفاء السلف الصالح. وأوقاته مقسمة للطلبة مع كثرة المطالعة والتأليف والتصدي للإفتاء والتصنيف»[٤] اهـ.

---

(1) شذرات الذهب ص ٢٧١/٧

(2) الضوء اللامع ص ٣٩/٢

(3) راجع: مقدمة المطالب العالية ص هـ و.

(4) شذرات الذهب ص ٢٧٣/٧

قال السخاوي في الضوء اللامع: «وقد شهد له القدماء بالحفظ والثقة والأمانة والمعرفة التامة والذهن الوقّاد والذكاء المفرط وسعة العلم في فنون شتى. وشهد له شيخه العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث. وقال كل من التقي الفاسي والبرهان الجلي ما رأينا مثله وسئل مرة أرأيت مثل نفسك فقال: قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ ومحاسنه جمة[1]. وبالجملة فجميع من ترجم له وصفه بأنه حافظ دهره بل وصفه السيوطي -رحمه الله- بأنه قد ختم به الفن، متبحر في علوم كثيرة وبالأخص الحديث وعلومه فهو حجة فيه وبالرغم من علو مكانته ورفيع شأنه كان متواضعا مهذب العبارة ملازما للعبادة مثلا يحتذى به. ولو استطردنا في ذكر ثناء العلماء عليه يطول المقام لأنه ما أكثر من ثناء العلماء عليه حتى قال السخاوي في الجواهر: فأما ثناء الأئمة عليه فاعلم أن حصر ذلك لا يُستطاع[2]. اهـ

وظائفه وجهوده العلمية: أهم ما انشغل به الحافظ ابن حجر -رحمه الله- هو التدريس والإملاء وقد تولى بجانب ذلك بعض الوظائف. فقد ولي الإفتاء في سنة إحدى عشرة وثمانمائة واستمرت هذه الوظيفة معه حتى انتقل إلى رحمة الله تعالى. وكان خطيبا بالجامع الأزهر سنة تسع عشرة وثمانمائة وخطب أيضا بجامع عمرو بن العاص. وتولى القضاء وكان كارها له.

قال السخاوي -رحمه الله-: وكان مصمما على عدم دخوله في القضاء حتى أنه لم يوافق الصدر المناوي لما عرض عليه النيابة عنه في القضاء. ثم قدر أن المؤيد ولاه الحكم في بعض القضايا ولزم من ذلك

---

(1) الضوء اللامع ص ٣٩/٢

(2) راجع: الجواهر والدرر ص ٢٠٤/١ – النجوم الزاهرة ص ٥٣٣/١٥

النيابة ولكنه لم يتوجه إليها ولا انتدب لها إلى أن عرض عليه الاستقلال به وألزم من أجابه بقبوله فقبل واستقر في المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان عرض عليه في أيام المؤيد فمن دونه وهو يأبى.

وتزايد ندمه على القبول لعدم تفريق أرباب الدولة بين العلماء وغيرهم ومبالغتهم في اللوم لرد إشاراتهم وإن لم تكن على وفق الحق بل يعادون على ذلك واحتياجه لمداراة كبيرهم وصغيرهم بحيث لا يمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومونه على وجه العدل. ولقد صرح بأنه جنى على نفسه بتقلد أمرهم وأن بعض العلماء ارتحل للقائه وبلغه في أثناء توجهه تلبسه بوظيفة القضاء فرجع. ولم يلبث أن صرف ثم أعيد ولا زال كذلك إلى أن أخلص في الإقلاع عنه عقب صرفه في جمادى الثانية سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بعد زيادة مدد قضائه على إحدى وعشرين سنة. وزهد في القضاء زهدا تاما لكثرة ما توالى عليه من الأنكاد والمحن بسببه. وصرح بأنه لم تبق في بدنه شعرة تقبل اسمه[1].

وفاته: توفي الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة (٨٥٢) و كان له مشهد عظيم لم ير مثله وشهد أمير المؤمنين والسلطان فمن دونها الصلاة عليه ودفن تجاه تربة الديلمي بالقرافة وتزاحم الأمارء والأكابر على حمل نعشه ومشى إلى تربته من لم يمش نصف مسافتها قط[2] -رحمه الله.

---

(1) الضوء اللامع ص ٣٨/٢

(2) راجع: الضوء اللامع ٤٠/٢، شذرات الذهب ص ٢٧٣/٧، البدر الطالع ص ٩٢/١، الأعلام الزركلي ص ١٧٨/١، دار المعارف الإسلامية ص ١٣٢/١